الجراد والجمبري

بقلم عادل آدم

تطلع من النافذة ، ثم قال ـ الجو يبدو مناسبا ..

وعاد الى مقعده فارتمى فوقه وهو يزفر ... وتطلعت الى زوجته فأشاحت بوجهها بعيدا عني ..

واستطرد كمال ـ لن يبقى الجو سوى ساعة او الامطار .

قلت بقلق وددت رغبة حادة في النقاش ـ هل تظن ؟ ؟

فقال ـ اكيد

وناولني سيجارة فأشعلتها .. وسميت العود في يدى فترة مشتعلا دون اطفاء .. أحس نظرات زوجته مصوبة فوقي .. أحس لسعها كالابر تماما في جلدي ..

سألني ـ ما رأيك في هذه السيجارة ؟

لم أفهم ؟ سألته ـ ماذا تعني ؟

ـ ليس هذا النوع ما تفضله ؟ انه نوع ردىء لكن لم أجد غيره .. الم تلحظ الفارق؟ قلت بدهشة وانا اقلب اللفافة في يدى بضيق ـ لا .

قال بتأكيد ـ هذا حقيقي .. المهم الا تعرف أن النوع ردىء .. وستجد أنك تشربه دون أن يتملكك الاشمئزاز ..

بلدة وتسعف .. هل تعرف سأروى حادثة مرت بي والتصت ناحية زوجته .. زوجته جميلة .. رشيقة كأنها عارضة ازياء وعيناها كبحيرتين عميقتين قال ـ سلوى .. اسمعي هذه القصة ، ولكن هل انت متعبة ؟

هي متعبة للغاية . في الواقع هي في غاية التعب .. ولكني ايضا متعب ؟ .. ربما اكثر . متعب بثقل ما أحمله في صدري من احساس مختلط متباين ؟

ـ سلوى .. حبيبتي هل انت مريضة ...

وضع كفه فوق جبهتها بحنو وحب ومال عليها مستفسرا ..

ردت بتردد ـ انني بخير . ليس بي من سوء .. لاتقلق هكذا انني بخير ..

ـ ولكنك شاحبة . يبدو الارهاق على صفحة وجهك الجميل ـ أنت مريضة ياحبيبتي . وانحنى يقبلها . احتضن وجه صديقي خلف سحابات كثيفة . انحسرت عن دوائر أخذة في الاتساع .. تكشفت عن وجه صديقنا رمزي .. رأيت رمزي يميل عليها مقبلا وهي مرتاحة بين ذراعيه في استسلام وضعف .. كدت أصرخ ـ عمري اني سمعت صوت كمال ..

ـ هل أنت متأكدة أنك بخير ياسلوى؟

قالت ـ بكل خير ياكمال .. لماذا لاتستكمل تلك الحكاية التي كنت ستروبها .. أتسيب ؟ صاح متذكرا

ـ آه ! .. اسمع القصة ياعباس .. سوف تعجبك ..

جذب نفسا من السيجارة واضطجع على كرسيه وأخذ يروى القصة ..

حين كنت أعمل بالسعودية .. أنت تعرف اننا عملنا فترة هناك .. المهم .. دعيت ذات مرة الى منزل صديق .. وقدموا الى بعض المأكولات الخفيفة .. منها طبعا نوع من الحمبرى على ماأعتقد .. قالوا الى هذا حمبرى سعودى .. كان يشبه رميله المصرى وكان مشويا .. هل تعرف كان طعمه لذيذا .. في الواقع كان لذيذا جدا حتى انى نسيت نفسى وأتيت على كمية كبيرة منه ..

وبعد عدة ايام قابلنى ذلك الصديق .. وفى معرض حديثنا فاجأنى بقوله .. أخبرنى هل أعجبك الحمبرى .. ضحكت من فورى .. للغاية .. فقال .. هل تعرف .. انه ليس حمبريا .. هل يمكن ان تخمن ما هو .. لا تستطيع .. بالطبع .. ولن تخطر على بالك مطلقا .. انه حراد .. ضربت .. حراد .. ياربى .. حراد ..

قال مؤكدا وهو يضحك بالصحك ـ حراد .. مجرد حراد .. لم يكن سوى حراد .

أسرعت يومها الى أقرب دورة مياه وأفرغت مافى جوفى رغم مرور عدة أيام على أكل ذلك الجراد اللعين .. ورقدت جسدى .. وأحس بدبيب أقدام الجراد يسرى فى دمى وتحمل جلدى يقشعر رعبا على .. هل تصدق هذه الحكاية ..

وانفجر فى الضحك من نفسه ثم توقف وهو يلهث وقال

ـ لكن ما الذى ذكرنى بهذه القصة آه انها تلك السيجارة التى لم تكد تعرف توقعها حتى تركتها بعد ان وصلت الى نصفها .. هل تفهمنى .. لعلنا فهمنا .. وقلت دون منافسة حاده لكلامه

ـ آه .. انه رايك .

قال بتأكيد

ـ دون شك .. واتجه بحو زوجته ومال يستفسر عن صحتها ومزاجها .. ومرة أخرى يغيب وجه كمال عن عينى ويبدو وجه رمزى أمامى ساخرا بشعا لوجه الخطيئة .. ورقصت بصرى بحو صورة الرفاف المعلقة .. خيل الى ان رمزى يحتل مكان أحمد وقد أزاحه الى الطرف البعيد من الصورة ..

أحسست بتعب .. ورأسى ثقيلة تلف رأسى فتطمس المرئيات أمام عينى وثقل تنفسى وشعرت باختناق وضيق وكان الهواء قد ركد واصبح الجو لا يطاق

نهض كمال وهو يزفر وصاح بتلهف

ـ يجب أن تمطر الآن .. لن يعيد للجو نقاءه سوى الامطار .. الامطار لتمطر الآن وسينتهى كل شىء ..

رميت بنظرى نحوه .. وهو يتحرك فى نواحى الحجرة .. وهو يتطلع الى السماء .. وهو يميل على زوجته سلوى .. وهو يهيب .. بالسماء أن

تمطر .. ثم حدق ببصرى اليها ..
وسبحت نظراتي مسددة الى وجهها واشتبكت نظراتنا كالاسلاك الشائكة
ولعلها حاولت أن تخلص نظراتها ولم تفلح .. فانفجرت في البكاء فجأة وارتفع نشيجها عاليا مختلجا ..

ارتاع أحمد .. وهرع نحوها

ـ سلوى مالك ياحبيبتي ...

بذلت جهدا خارقا لتتمالك نفسها وجففت دموعها بسرعة .. الا أنها لم تستطع أن توقف الرعدة المسيطرة على صوتها وجسدها ..

ـ لا شيء ـ لا شيء .. انه بعض الضيق .. الجو خانق ..

ردد بحيرة ودهر ـ أحل .. أحل ..
واتجه نحوى .. أدركت .. انها مريضة دون شك .. أعصابها متعبة للغاية ..

ربما لم يلحظ أثرا لكلماته على وجهي .. واشتعلت سيجارة من علبتي وناولته واحدة .. فأخذها ثم أعادها وهو ينحرك بقلق ثم مال عليها وصوته يتهدج ـ سلوى .. اتكي .. سوف يهدأ البكاء .. اتكي ياحبيبتي .. استمرى في البكاء ..

فانحرطت في السويل وشهقاتها المشنجة تخرق أذني بحدة ..

ونهضت واقفا واعتذرت طالبا الانصراف .. فاحتج كمال .. وصاح في وجهي ـ هل تتصرف وتتركني في مثل هذا الحال .. ألا ترى أن سلوى مريضة .. كذلك لم تتحدث عن ذلك الأمر الذي أخبرتني أنه هام وعاجل ..

قلت بضعف ـ أوه .. لا أذكر ..

وتحركت الى الباب فصاح محتجا ..

ـ لكن سلوى مريضة ..

التفت بنظرة نحوها وقلت

ـ لعلها تخير الآن ..